على التقدير من خبر المبتدأ الاول وهو جزاؤه قوله موضع اقامة الظاهر فيها مقام الضمير جواب عما يقال
كيف يكون قوله من وجد في رحله فهو جزاؤه خبرا للمبتدأ الاول ولا عائد فيها يعود على الاول وتقريره انه
لو قيل من وجد في رحله فهو هو لتحقق الرابطة بان يكون الضمير الاول راجعا الى من والثاني الى المبتدأ
الاول ولما قيل فهو جزاؤه فقد وضع الظاهر الذي هو مرجع الضمير الثاني مقام ذلك الضمير و
حصل الربط به لذلك كما تقول صاحبك من اخو زيد فيقول لك اخوه من يقعد الى جنبه
فهو هو يرجع الضمير الاول الى من والثاني الى الاخ ثم تقول فهو اخوه مقيما للمظهر مقام المضمر ثم
اخوة يوسف لما افتوا بان جزاء السارق الاسترقاق قال المؤذن او يوسف لا بد من تفتيش
اوعيتكم فبدأ بتفتيش اوعيتهم قبل وعاء بنيامين لنفي التهمة ثم استخرجها من وعاء بنيامين
فحبس عنكم بمعنى فنواهم قوله بان علمناه اياه واوحينا به اليه فسر الكيد المسند اليه تعالى بالتعليم والايحاء
لان حقيقة الكيد مستحيل في حقه تعالى وذلك لان الكيد عبارة عن المكر والخديعة وهو ان توهم
غيرك خلاف ما تخفيه فهو في حق الله تعالى محمول على التمثيل فان صورة صنع الله تعالى في تعليمه يوسف ان لا يحكم
اخوته حكم الملك وهو ان يضرب السارق ويغرمه مثل ما اخذ بل يحكم عليهم على مذهبهم وهو ان يستعبد
السارق سنة صورة صنع من يوهم الغير بخلاف من يخفيه لان مقصود يوسف ابداء اخيه الذي
وكان لا يتم ذلك الا بهذه الحيلة وما كان قوله تعالى ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك هو عين الكيد
قال المص وهو بيان للكيد قوله في دين الملك اي في قضائه وحكمه وانه تعالى اوحى اليه بدس الصواع
رحل اخيه وان ينسبه الى السرقة وان يستفتي اخوته ما جزاء السارق عندكم واجرى على السنة
الاخوة اي جزاء السارق اخذه واسترقاقه فسمى ايحاء قوله فالاستثناء من اعم الاحوال اي ما كان ليأخذ
في كل حال الا في حال كونه ملتبسا بمشيئة الله تعالى واذنه للملك ان يجعل في كل الحكم حكم نفسه
ويجوز ان يكون الا ان يشاء الله كلمة تابيد كانه قيل ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك ابدا لانه
جل من ان يتعدى لمنصب النبوة ان يحكم بدين الكفار نحو قوله تعالى وما كان لنا ان نعود فيها الا ان
يشاء الله كلمة تابيد لان عودهم في ملتهم مما ان يشاء الله ذلك ابدا وقرأ الكوفيون درجات
بالتنوين والباقون بغير تنوين وقرأ يعقوب بالياء التحتانية في نرفع ونشاء والفاعل
هو الله فان قرئ درجات من نشاء بالاضافة يكون درجات مفعول نرفع وان قرئ منونا
غير مضاف يكون من نشاء مفعول نرفع ويكون درجات منصوبا على الظرفية او بنزع الخافض اي الى درجات
وبالجملة اسكتنا لغرر مضمون قوله تعالى كذلك كدنا ليوسف وقوله تعالى وفوق كل ذي علم عليم تذييل
لما قبله فان التذييل ان يعقب الكلام بما يشتمل على معناه تاكيدا له وهو هنا القبيل انه تعالى بين اولا
ان اخوة يوسف وكانوا علماء فضلاء الا انه تعالى فضل عليهم في العلم ثم قرر ذلك بقوله نرفع درجات من نشاء العلم كما رفعناه

درجة يوسف ثم اكد ذلك بانه المنفرد بالعلم الكامل وان علوم جميع الخلائق مستفادة منه فائضة
عليهم بتعليمه اياهم فيكون فوق ذي علم من خلقه قوله واحتج به من زعم انه تعالى عالم بذاته لا بعلم زائد
يقوم به وهم المعتزلة الذين يقولون انه تعالى عالم وليس بذي علم لانه لو كان ذا علم لكان فوقه
عليم بعموم هذه الاية وهو باطل واجاب المص عنه بتخصيص عموم قوله كل ذي علم بذي علم من الخلائق
لان الكلام فيهم لما ذكرنا في بيان كون قوله تعالى وفوق كل ذي علم عليم تذييلا لما قبله وكيف لا يخص
هذا العام وقد دل ساير الايات على انه تعالى ذو علم منها قوله تعالى ان الله عنده علم الساعة وقوله ولا يحيطون
بشيء من علمه وقوله ولا يضع الا بعلمه ولما وقع التعارض بين هذه النصوص وبين ما تمسك
به الخصم وجب تخصيصه بذي علم من الخلائق اعتمادا على قرينة التخصيص توفيقا بين النصوص
ومما يدل على ارادة الخصوص لان العليم لكونه صفة مشبهة مبنية من علم بعد نقله الى فعل بضم العين
لان ما من الافعال الغريزية يدل على المبالغة في اتصاف الذات بما قام به من حيث كونه مستمرا دائم
الثبوت كما هو شأن الافعال الغريزية فكان العليم من له العلم البالغ فهو الله عز وجل فاذا كان المفضل
بالعلم هو الله تعالى يكون المفضل عليه هو العلماء من الخلائق فيكون المراد بقوله كل ذي علم من العلم
من الخلق ولانه لا فرق بينه وبين قولنا فوق كل العلماء عليم دليل ثالث على ارادة الخصوص و
تقريره ان قوله تعالى كل ذي علم وان كان بمعنى كل واحد على ان يكون كل استغراقية لاحاطة الافراد
الا انه لا فرق بينه وبين قولنا فوق كل العلماء عليم ان يكون كل مجموعية لا استغراقية ومن المعلوم
انه تعالى لا يدخل في كل العلماء والملائكة فوقه لان من كان فوق العلماء يكون خارجا عنهم لا محالة ثم ان
الصواع لما خرج في رحل بنيامين افتضح الاخوة ونكسوا رؤسهم فقالوا ابتدءوا لما حيتهم ان يسرق
فقد سرق اخ له من قبل يعنون ان هذه الواقعة ليست ببعيدة منه فان اخاه الذي هلك
كان ايضا سارقا ونحن لسنا على طريقتهما وسيرتهما لانهما من ام اخرى ثم قالوا يا بني راحيل ما اكثر البلاء
علينا منكم فقال بنيامين بل اكثر البلاء علينا منكم ذهبتم باخي وضيعتموه في المفازة ثم تقولون
في حقي هذا قالوا له فكيف خرج الصواع من رحلك فقال وضعه في رحلي من وضع البضاعة في رحالكم
واختلفوا في السرقة التي نسبوها اليه على اقوال الاول انه كانت لابراهيم منطقة يتوارثها
اكابر ولده ويتبركون بها فورثها اسحق ثم وقعت الى ابنة عمة يوسف وكانت اكبر اولاده وكانت حضنت
يوسف واحبته حبا شديدا بحيث لا تصبر عنه وكانت حضنته بعد وفاة امه فلما شب يوسف اراده
يعقوب ان ينزعه منها فاحتالت بان شدت المنطقة على يوسف تحت ثيابه وقالت فقدت
منطقة اسحق فانظروا من اخذها ففتشوها فوجدوها مشدودة على يوسف فقالت انه سرقها
فكان سلما لي وكان حكمهم ان من سرق يسترق فتوسلت بهذه الحيلة الى امساكه عند نفسها تركه

قوله

Copyright © King Saud University